الدراسات
اللغوية والأدبية

المكي والمدني عند مفسري الاندلس
دراسة موازنة

الأستاذ الدكتور
حسن كاظم اسد الخفاجي
جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

المدرس المساعد
حوراء علي عبله

المكي والمدني عند مفسري الاندلس
دراسة موازنة

Al-Makki and Al-Madani Accordaing

to the interpreters Andalusin Comprative study

الأستاذ الدكتور
حسن كاظم اسد الخفاجي
جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية
DP.Hassan Kazem Asad

المدرس المساعد
حوراء علي عبله
Howraa Ali Ablaa
Basic. Avicenna. / University of Kufa

الملخص:

يعد علم المكي والمدني من البحوث المتصلة بالقرآن، فهو يساعد على فهم القرآن وتفسيره؛ لذلك اهتم الصحابة ومن بعدهم من المفسرين به. فمن خلاله نستطيع معرفة الآيات الناسخة من المنسوخة، ويمكن الاستعانة به للوقوف على تاريخ التشريع الإسلامي وتدرجه، وكذلك تتبع سيرة الرسول(ص)، بالإضافة الى معرفة أسباب النزول، وبالتالي يكون كل ما ذكر دلالة على وصول القرآن الكريم الينا من غير تحريف او تبديل.

Abstract

Al-Makki and Al-Madani science is considered among the researches related to the Qur'an. It helps in understanding and interpreting the Qur'an. Therefore, the Companions and those after them were interested in the commentators. Through it, we can know the abrogating verses from the abrogated ones, and we can use it to find out the history of Islamic legislation and its gradation, as well as follow the biography of the Messenger (peace be upon him), In addition to knowing the reasons for its revelation, and therefore everything mentioned is an indication of the arrival of the Noble Quran to us without distortion or alteration.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد واله وصحبه المنتجبين.

من الفتوحات التي أسهمت في انتشار الإسلام هو فتح بلاد الاندلس فظهر علماء اجلاء ومفسرين كبار كان همهم الشاغل تدّارس كتاب الله سبحانه وتعالى، وقد تضمن هذا البحث دراسة علوم القرآن الكريم عند مفسري هذه البلاد. ومن هذه العلوم علم المكي والمدني، وتضمن الحديث عن هذا العلم من جوانب عدة:

التعريف بالمكي والمدني

أهمية المكي والمدني

كيفية معرفة المكي والمدني

خصائص المكي والمدني

اقوال مفسري الاندلس حول المكي والمدني (ابن العربي، ابن عطية، أبو حيان، ابن جزي، القرطبي)، والموازنة بين اقوالهم. والبحث الماثل بين يدي القارئ يهدف الى تسليط الضوء على اقوال مفسري الاندلس حول علم المكي والمدني.

اولاً: التعريف بالمكي والمدني:

قسم العلماء المكي والمدني الى ثلاث اقسام من خلال اعتبارات متعددة، فعليه يكون هنالك ثلاثة اقوال لكل من المكي والمدني[1]:

القول الاول: المكي: ما نزل قبل الهجرة. والمدني: ما نزل بعد الهجرة سواء نزل بمكة ام بالمدينة، عام الفتح أم عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار. وهذا التعريف اخذ بالاعتبار زمن النزول.

القول الثاني: المكي: ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة. والمدني ما نزل بالمدينة. ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل على النبي (ص) بمنى وعرفات والحديبية. ويدخل في المدينة ضواحيها أيضا كالمنزل عليه في بدر وأحد. وقد أخذ بالاعتبار مكان النزول.

القول الثالث: المكي: ما وقع خطاباً لأهل مكة. والمدني: ما وقع خطاباً لأهل المدينة. وعليه يحمل قول من قال: إن ما صدر في القرآن بلفظ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} فهو مكي وما صدر فيه بلفظ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُو) فهو مدني لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة فخوطبوا ب (يا أيها الناس) وإن كان غيرهم داخلا فيهم. ولأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة فخوطبوا ب (يا أيها الذين آمنوا) وإن كان غيرهم داخلا فيهم أيضا. واخذ بالاعتبار الموضوع الذي احتوته السورة او الاية.

ثانياً: الترجيح بين اقوال العلماء حول المكي والمدني:

يعد القول الأول هو أشهر الاقسام الثلاثة، ويمتاز عن بقية الاقسام بشموله لمعظم آيات وسور القرآن الكريم. فهو يهتم بالناحية الزمانية وعليه يبرز السور اما مكية وهي التي نزلت قبل الهجرة، وإذ نزلت في الطريق الى المدينة فهي مكية. وإذا نزلت بعد دخول النبي (ص) مهاجراً الى المدينة فهي مدنية مهما كان مكان نزولها،

اما القول الثاني فأنه لا يشمل كل سور القرآن الكريم وآياته، لأن قسم من القرآن نزل خارج مكة والمدينة، اما بالنسبة للقول الثالث غير مجدي لأن خطاب القرآن الكريم عام وانطباق الآية او السورة حين نزولها على أهل مكة او على أهل المدينة لا يعني كونها خطاباً لهم خاص، فالاختصاص راجع للحكم فالآية عامة مادام اللفظ عام. (٢)

ثالثاً: كيفية معرفة المكي والمدني:

ذكر الباقلاني بعدم وجود نص من الرسول (ص) في ذكر او تعين المكي والمدني من القرآن الكريم، لأنه (ص) لم يؤمر بذلك، وان الله سبحانه وتعالى لم يجعل علمه من فرائض الامة، وبذلك يكون بما ورد عن الصحابة والتابعين الأثر الأكبر في معرفة المكي والمدني من القرآن الكريم، لأنهم كانوا يشاهدون نزوله فبذلك يعرفون مكان نزوله ووقت نزوله. (٣) ومما يؤكد كلامه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت؟ ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه. (٤)

رابعاً: أهمية معرفة المكي والمدني:

يمكن تلخيص أهمية معرفة المكي والمدني بنقاط عدة (٥):

١ – معرفة الآيات الناسخة من الآيات المنسوخة وتمييز حكمها إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفا للحكم في غيرها ثم عرف أن بعضها مكي وبعضها مدني فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظرا إلى تأخر المدني عن المكي.

٢ – الاطمئنان للقرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف.

٣–المعرفة التاريخية للسيرة النبوية وذلك من خلال تتبع الوحي لأنه ساير الدعوة بإحداثها مكيها ومدنيها منذ بدأ الوحي وحتى اخر اية نزلت فالقرآن يعد المرجع للدراسة السيرة النبوية.

٤ –معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

٥–ظهور بلاغة القران في أعلى مراتبها، حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم من قوة وشدة، أو لين وسهولة.

٦–تربية الدعاة إلى الله تعالى، وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القران في الأسلوب والموضوع، من حيث المخاطبين، بحيث يبدأ بالأهم فالأهم، وتستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها.

خامساً: خصائص السور المكية والمدنية (٦):

١ خصائص السور المكية: تتميز السور المكية بخصائص عدة:

أ) كل سورة يوجد فيها لفظ (كلا) فهي مكية.
ب) كل سورة تبدأ بالحروف المقطعة هي مكية، عدا سورتي البقرة وال عمران فهما مدنيتان.
ج) كل سورة فيها خطاب (يا أيها الناس) او (يا بني آدم) فهي مكية غالباً.
د) السور ذات الآيات القصار اغلبها مكية.
هـ) تتميز بذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة، وذكر قصة ادم وابليس، ويستثنى من ذلك سورة البقرة.
و) تتميز بذكر المسائل العقائدية من توحيد الله والبعث والحساب.

٢-خصائص السور المدنية:

أ) تتميز بوجود الخطاب فيها (يا أيها الذين آمنوا).
ب) تتميز بطول آياتها وسورها.
ج) تتميز بذكر الحدود والفرائض والاحكام التي تنظم حياة الفرد والمجتمع.
د) الامر بالجهاد أو الاذن به او الحديث عن أحكامه.
هـ) ذكر المنافقين وبيان احوالهم وكشف مؤامراتهم في المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة.
و) البحث في شؤون الحكم والشورى وضرورة الرجوع فيهما الى الكتاب والسنة.
ي) الكلام عن اهل الكتاب وجدالهم ودعوتهم.

المطلب الثاني

أقوال مفسري الاندلس حول المكي والمدني

تناول هذا المطلب اراء مفسري الاندلس حول المكي والمدني، فمنهم من فصل الكلام حول المكي والمدني ومنهم من ذكره في موضع تأييد لما يراه مناسباً من الاقوال ومنهم من وظفه لبيان حكم معين او تفسير اية ومنهم ما تعرض لذكره ورجح بين الاقوال، وعليه سنبين رأي كل منهم حول المكي والمدني، فنبدأ اولاً بابن العربي:

اولاً: اقوال ابن العربي حول المكي والمدني:

ذكر ابن العربي المكي والمدني وأفاد منه لبيان فيمن نزلت الآية، عند قوله تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فروي في سبب نزولها: " ان قريشاً قالوا: ان الذي يعلم محمداً يسار أبو فكيهة مولى من قريش، وسلمان، فنزلت هذه الآية. لكن ابن العربي بين انها نزلت في يسار وليس في سلمان معتمداً على المكي والمدني، فقال: " وهذا يصحّ في يسار؛ لأنه مكي، والآية مكية، واما سلمان فلا يصحّ فيه ذلك؛ لأنه لم يجتمع مع النبي(ص) الا بالمدينة، وقد كانت الآية نزلت بمكة بإجماع من الناس. " [٨]من خلال ما تقدم يرى البحث ان ابن العربي كان يتبع التقسيم المكاني للحكم على الآية بانها مكية او مدنية. وهذا يتضح من خلال قوله: " وقد

كانت الآية نزلت بمكة بإجماع من الناس" فضلاً عن افادته من المكي والمدني لبيان سبب النزول.

وذهب لبيان ما يراه راجحاً من الاقوال، ففي قوله تعالى:﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِين ﴾ يرجح بأن آية ((اقتلوا المشركين)) هي آخر آية نزلت في القتال وذلك لأنها مدنية، ولأن المدني متأخر عن المكي تعتبر الآية متأخرة عن اية الاذن. وهذا دليل اخر على ان ابن العربي يعتمد التقسيم المكاني لمعرفة المكي والمدني.

فقال: " انه انزل على رسوله:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾وهي اول آية نزلت، وان لم يكن أحد قاتل؛ ولكن معناه أُذن للذين يعلمون ان الكفار يعتقدون قتالهم وقتلهم بأن يقاتلوهم على اختلاف في القراءة، ثم صار بعد ذلك فرضا، فقال تعالى:﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾. ثم أمر بقتال الكل، فقال:﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾، وقبل: ان هذه الآية اول آية نزلت. والصحيح ما رتبناه؛ لأن آية الاذن في القتال مكية، وهذه الآية مدنية متأخرة. " (٧)

وفي قوله تعالى:﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالاعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لايَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ذكر أقوال عدة لمعنى (سكراً):

الأول: قاله ابن عباس والحسن وغيرهم: تتخذون منه ما حرم الله.

الثاني: قاله قتادة: انه خمور الاعاجم.

الثالث: قاله الحسن: انه الخل.

الرابع: قاله أبو عبيدة: انه الطعم الذي يعرف من ذلك كله.

الخامس: انه ما يسدّ الجوع، مأخوذ من سكرت النهر، إذا سددته. فأنه رجح بين هذه الاقوال وقال المقصود من السكر هو الخمر من خلال اعتماده على المكي والمدني فقد قال:" اما هذه الاقاويل فأسدها قول ابن عباس: ان السكر الخمر، والرزق الحسن ما أحله الله بعدها من هذه الثمرات. ويخرج ذلك على أحد معنيين: اما ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر، واما ان يكون المعنى: انعم الله عليكم بثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه ما حرم الله عليكم اعتداء منكم، وما أحل الله لكم اتفاقاً او قصدا الى منفعة أنفسكم. والصحيح ان ذلك كان قبل تحريم الخمر، فإن هذه الآية مكية باتفاق من العلماء، وتحريم الخمر مدني. " (٨)

وبهذا يمكن القول ان ابن العربي قد وظف المكي والمدني في بيان ما يراه راجحاً من الاقوال في جميع الآيات التي تطرق الى تفسيرها. وقد افاد منه في معرفة سبب النزول. وكذلك يرى البحث ان ابن العربي اعتمد التقسيم المكاني في بيان المكي والمدني.

ثانياً: اقوال ابن عطية عن المكي والمدني

يمكن مناقشة اقوال المكي والمدني عند ابن عطية من خلال تفسيره، فذكر في مطلع سورة النساء: هذه السورة مدنية، إلا آية واحدة نزلت

بمكة عام الفتح، في عثمان بن طلحة وهي قوله:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَاناتِ إِلى أَهْلِها﴾، قال النقاش: وقيل نزلت السورة عند هجرة رسول الله (ص) من مكة إلى المدينة المنورة.

قال القاضي أبو محمد: وقد قال بعض الناس: إن قوله تعالى:﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾حيث وقع إنما هو مكي فيشبه أن يكون صدر هذه السورة مكيا، وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وإن نزل في مكة أو في سفر من أسفار النبي (ص)، وقال النحاس: هذه السورة مكية. قال القاضي أبو محمد: ولا خلاف أن فيها ما نزل بالمدينة.[٩] وبهذا يمكن القول بأن ابن عطية قد اعتمد التقسيم الزماني والتقسيم بلحاظ الخطاب في تعيين المكي والمدني.

وفي قوله تعالى:﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾، فقال: " قال بعض الناس سبب هذه الآية أن رسول الله (ص)، نزل به ضيف فلم يكن عنده شيء فبعث إلى يهودي ليسلفه شعيراً فأبى اليهودي إلا برهن فبلغ الرسول بذلك إلى النبي (ص)، فقال: والله إني لأمين في السماء وأمين في الأرض. فرهنه درعه فنزلت الآية في ذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا معترض أن يكون سبباً لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي (ص)، لأنَّه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت "[١٠]وبهذا بين عدم صحة سبب النزول لهذه الآية بسبب معرفته للمكي والمدني.

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، ذكر عدة تأويلات لكلمة " الذين" ثم بين رأيه فيها ودحضها جميعها معتمداً على المكي والمدني. فذكر: " المراد ب " الذين" ضعفة المؤمنين في ذلك الوقت في أمور الدنيا بلال وعمار وابن أم عبد ومرثد الغنوي وخباب وصهيب وصبيح وذو الشمالين والمقداد ونحوهم وسبب الآية أن الكفار قال بعضهم للنبي (ص): نحن لشرفنا وأقدارنا لا يمكننا أن نختلط بهؤلاء، فلو طردتهم لاتبعناك وجالسناك، ورد في ذلك حديث عن ابن مسعود، وقيل: إنما قاله هذه المقالة أبو طالب على جهة النصح للنبي (ص) قال له: لو أزلت هؤلاء لاتبعك أشراف قومك وروي أن ملأ قريش اجتمعوا إلى أبي طالب في ذلك، وظاهر الأمر أنهم أرادوا بذلك الخديعة، فصوب هذا الرأي من أبي طالب عمر بن الخطاب وغيره من المؤمنين فنزلت الآية، وقال ابن عباس: إن بعض الكفار إنما طلب أن يؤخر هؤلاء عن الصف الأول في الصلاة، ويكونون هم موضعهم، ويؤمنون إذا طرد هؤلاء من الصف الأول فنزلت الآية، أسند الطبري إلى خباب بن الأرت أن الأقرع بن

حابس ومن شابهه من أشراف العرب قالوا للنبي (ص) اجعل لنا منك مجلساً، لا يخالطنا فيه العبيد والحلفاء، واكتب لنا كتاباً ، فهمّ النبي (ص) بذلك فنزلت هذه الآية. قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل بعيد في نزول الآية، لأن الآية مكية وهؤلاء الأشراف لم يفدوا إلا في المدينة، وقد يمكن أن يقع هذا القول منهم ولكنه إن كان وقع فبعد نزول الآية بمدة اللهم إلا تكون الآية مدنية"[١١] وبهذا يرى البحث الى ان ابن عطية قد اعتمد التقسيم الزماني والخطابي لتعيين المكي والمدني من القرآن الكريم. وأفاد من المكي والمدني لبيان سبب النزول الصحيح للآية الواردة. وبهذا أختلف عن ابن العربي في طريقة تعيين المكي والمدني.

ثالثاً: اقوال أبي حيان الاندلسي في المكي والمدني

بعد ان تتبعنا أبو حيان في تفسيره البحر المحيط وجدناه يذكر الاختلافات حول المكي والمدني بعد ان يصف السورة بالمكية أو المدنية، ففي سورة الفاتحة ذكر جميع الاقوال حولها، فقال: " قال علي، وابن عباس، وعلي بن الحسين، وقتادة، وأبو العالية، وعطاء، وابن جبير، ومحمد بن يحيى بن حبان، وجعفر الصادق، الفاتحة مكية، ويؤيده قوله تعالى:﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾والحجر مكية، بإجماع. وفي حديث أبي: إنها السبع المثاني والسبع الطوال، أنزلت بعد الحجر بمدد، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه كانت في الإسلام صلاة بغير " الحمد لله رب العالمين". وقال أبو هريرة، وعطاء بن يسار، ومجاهد، وسواد بن زياد، والزهري، وعبد الله بن عبيد بن عمير: هي مدنية، وقيل إنها مكية مدنية." [١٢]

وايضاً في سورة النساء ذكر عند تفسير قوله تعالى:﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾، الجمهور على أن هذه السورة مدنية إلا قوله تعالى:﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ وقال النحاس: مكية. وقال النقاش: نزلت عند الهجرة من مكة إلى المدينة انتهى. ولا خلاف أنّ فيها ما نزل بالمدينة. [١٣]

وكذا في سورة الأعراف، فقد قال: "هذه السورة مكية كلها قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد والضحاك وغيرهم، وقال مقاتل إلا قوله:﴿ واسألهم عن القرية﴾إلى قوله:﴿ من ظهورهم ذرياتهم ﴾ فإن ذلك مدني وروي هذا أيضاً عن ابن عباس. وقيل إلى قوله:﴿ وإذ نتقنا ﴾

وفي قوله تعالى:﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ، قال فيه: قال سعد بن أبي وقاص: نزلت فينا ستة فيّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال قالت قريش: انا لا نرضى ان نكون لهؤلاء فاطردهم عنك فنزلت.

وقال خباب بن الأرت: نزلت فينا كنا ضعفاء عند النبي(ص) يعلمنا بالغداة والعشي ما ينفعنا، فقال الاقرع بن حابس وعينية بن حصين: انا من اشراف قومنا وانا نكره ان يرونا معهم فاطردهم إذا جالسناك فنزلت. فأتيناه وهو يقول: سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته وهذا فيه بعد؛ لأن الآية مكية وهؤلاء الاشراف لم ينذروا الا بالمدينة. (١٤)

وبهذا يرى البحث ان ابي حيان كان يذكر الاقوال المختلفة حول السورة او الآية بوصفها مكية او مدنية؛ ولكن دون ترجيح. وأفاد من المكي والمدني لبيان سبب النزول.

رابعاً: اقوال ابن جزي حول المكي والمدني

تكلم ابن جزي عن المكي والمدني في مقدمة كتابه، إذ وضع باباً في المقدمة الأولى لكتابه وهو الباب الثاني في السور المكية والمدنية، قال فيه: " اعلم أن السور المكية هي التي نزلت بمكة ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة كما أن المدنية هي السورة التي نزلت بالمدينة ويعد منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة وتنقسم السور ثلاثة أقسام قسم مدنية باتفاق وهي اثنان وعشرون سورة وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال وبراءة والنور والأحزاب والقتال والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم وإذا جاء نصر الله وقسم فيها خلاف هل هي مكية أو مدنية وهي ثلاثة عشر سورة أم القرآن والرعد والنحل والحج والإنسان والمطففون والقدر ولم يكن وإذا زلزلت والإخلاص والمعوذتين وقسم مكية باتفاق وهي سائر السور وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية كما وقعت آيات مكية في سور مدنية وذلك قليل مختلف في أكثره واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين وفي قصص الأنبياء وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية وفي الرد على اليهود والنصارى وذكر المنافقين والفتوى في مسائل وذكر غزوات النبي (ص) وحيث ما ورد يا أيها الذين آمنوا فهو مدني وأما يا أيها الناس فقد وقع في المكي والمدني"(١٥)

وبناءً على ما تقدم يمكن القول بأن ابن جزيء استوعب جميع الكلام حول الأقسام الثلاث للمكي والمدني، وبين ايضاً جميع السور المكية المتفق عليها وجميع السور المدنية المتفق عليها فضلاً عن بيانه للسور التي فيها اختلاف هل هي مكية ام مدنية؟.

خامساً: اقوال القرطبي حول المكي والمدني

اتخذ القرطبي منهجاً في تفسيره اول ما يبدأ في تفسير السورة يذكر نوعها هل هي مكية او مدنية؟ ويذكر الاختلاف بين الروايات ويرجح ما يراه صحيحاً لتأييد رأيه، وهذا ما نراه في سورة النساء، فقد قال: وهي مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحجبي

وهي قوله:﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ على ما يأتي بيانه قال النقاش: وقيل نزلت عند هجرة النبي (ص) من مكة إلى المدينة وقد قال بعض الناس: إن قوله تعالى:﴿ يا أيها الناس﴾ حيث وقع إنما هو مكي وقال علقمة وغيره فيشله أن يكون صدر السورة مكيا وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وقال النحاس : هذه السورة مكية " قلت: والصحيح الأول فإن في صحيح البخاري عن عائشة أنها قالت: "ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله (ص)" تعنى قد بنى بها ولا خلاف بين العلماء أن النبي (ص) إنما بنى بعائشة بالمدينة ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها وأما من قال: إن قوله: "يا أيها الناس" مكي حيث وقع فليس بصحيح فإن البقرة مدنية وفيها قوله: "يا أيها الناس" في موضعين وقد تقدم والله أعلم. (١٦)

أو يذكر اقوال متعددة حول الآية او السورة مكية او مدنية دون ترجيح كما في سورة الانعام، حيث قال: " سورة الأنعام وهي مكية في قول الأكثرين قال ابن عباس وقتادة هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة قوله تعالى:﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف اليهوديين والأخرى قوله:﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾ نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وقال ابن جريج: نزلت في معاذ بن جبل وقاله الماوردي وقال الثعلبي: سورة الأنعام مكية إلا ستة آيات نزلت بالمدينة ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ إلى آخر ثلاث آيات و ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ إلى اخر ثلاث آيات قال ابن عطية: وهي الآيات المحكمات وذكر ابن العربي: أن قوله تعالى:﴿قل لا أجد ﴾ نزل بمكة يوم عرفة." (١٧)

وانفرد القرطبي في بيان الناسخ والمنسوخ بدلالة التفريق بين المكي والمدني ونلاحظ هذا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً ﴾ فقد قال: واختلف العلماء في قاتل العمد هل له من توبة؟ فروى البخاري عن سعيد ابن جبير قال:" اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾هي آخر ما نزل وما نسخها شيء"(١٨) وروى النسائي عنه قال: سألت ابن عباس هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ قال: لا. وقرأت عليه الآية التي في الفرقان:﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

ويمكن ان نوازن بين اقوالهم من خلال نقاط عدة:

١- اتفق جميع مفسري الاندلس على الاهتمام بموضوع المكي والمدني، ومن شدة اهتمامهم بعضهم افرد له باب وحده كالقرطبي وابن جزي.

٢- اتفق جميعهم على الإفادة من المكي والمدني في بيان أسباب النزول للآيات.

٣- انفرد القرطبي من بينهم جميعاً ببيان الناسخ والمنسوخ بدلالة التفريق بين المكي والمدني.

٤- اختلفوا بوصف المكي والمدني فهناك من اعتمد التقسيم المكاني لتعيين المكي والمدني من الآيات والسور، وهناك من اعتمد التقسيم الزماني، وهناك من جمع بين التقسيم الزماني والخطابي لتعيين المكي والمدني من القرآن الكريم.

الهوامش:

١-ينظر: الالوسي: روح المعاني: ٩/ ٢١٢-٢١٤؛البرهان في علوم القرآن: ١٩٣/١-١٩٤

٢-المصدر نفسه.

٣-ينظر: الباقلاني: الانتصار للقرآن: ٢٤٧/١-٢٤٨

٤-مناهل العرفان: ١٩٦/١؛ صحيح البخاري: ٤/ ١٩١٢: الرقم (٤٧١٦).

٥-مناهل العرفان: ١٩٥/١؛ العثميين: تفسير الفاتحة والبقرة: ١٩/١؛

٦-ينظر: الواضح في علوم القرآن: ٧/١

٧-احكام القرآن لابن العربي: ٨٠/٧

٨-٩-المصدر نفسه: ١٩٨/١؛١٧٠/٥

١٠-المحرر الوجيز:٣/٢

١١-١٢-المصدر نفسه: ٤٣٤/٤؛ ٤١٣/٢

١٣-البحر المحيط: ٢٩/١

١٤-المصدر نفسه: ٤٩٢/٣

١٥-١٦-المصدر نفسه: ٨/٥؛ ٤/ ٥٢٠

١٧-التسهيل لعلوم التنزيل: ١٣/١-١٤

١٨- الجامع لاحكام القرآن: ٣٨٢/٦

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري المالكي (ت ٥٤٣هـ): الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: ١/ ١١: المحقق: الشيخ زكريا عميرات: الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت: الطبعة الثالثة، لبنان ٢٠٠٦.

٢- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن الاثير الاندلسي: البحر المحيط في تفسير القرآن: المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر -بيروت الطبعة:١٤٢٠هـ

٣- الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس)

٤- الباقلاني، القاضي أبو بكر ابن الطيب (ت ٤٠٣هـ): الانتصار للقرآن: تحقيق: الدكتور محمد عصام القضاة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: دار الفتح للنشر والتوزيع، دار ابن حزم، بيروت-لبنان: عدد الأجزاء:٢.

٥- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩.

٦- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القران: المحقق: محمد أبو

الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ -١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه: عدد الأجزاء:٤

٧- الغرناطي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي (ت ٧٤١هـ): التسهيل لعلوم التنزيل: تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي: نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٨- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية -القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).

٩- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ): تفسير الفاتحة والبقرة: الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ عدد الأجزاء: ٣.

١٠-مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو: الواضح في علوم القرآن: الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية -دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م

١١-النَّسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (٢١٥-٣٠٣ هـ، ٨٣٠ -٩١٥م): السنن الكبرى: تحقيق: دكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي: جميع الحقوق محفوظة الدار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة الاول ١٤١١ هـ -١٩٩١ م.